

الشَّهِيدُ البَطِيْلُ
جَلالُ الدِّينِ دُؤُنِي

هذه الذكرى :

إن الذكريات كالأحلام وهي أروع ما نملك ونحن عندما نعتزل واقعنا اليومي لبعض الوقت ونأمل الذكريات ، فإننا نفتح لأرواحنا نافذة نستروح منها عطراً عزيزاً علينا فنذكر ما حققناه وما فاتنا ، ما صنعنا بحياتنا ، وما كان يجب أن نصنعه ونتخذ من دراسة الذكريات قوة كافية لمواجهة الواقع الذى نبنيه بأيدينا ودفعة خلاقة لمعركة المستقبل الذى نصوغه بكل ما نملك بالإصرار والتجربة والمعاملة؛ وبالذكريات نفسها وبأحلامنا وطاقتنا وثقتنا المطمئنة فى الانتصار.

وفى ذكريات عام ١٩٥٦ ما يملأ النفس بالكبرياء ومن لهيبها القاسى انبثق شعاع فجرنا الجديد ولقد توثقت الوشائج بين ذكرى استشهاد بطلنا العملاق (جلال الدين دسوقي) وبين هذه الانتفاضة التى زحفت من خلالها أحلام شعبنا العظيم الصامد فى معركة الحرية فى (بور سعيد) هذه الانتفاضة الرائعة روعة البطولات الأسطورية .

وإننا نستقبل هذه الذكرى ونحن فى غمرة الأحداث التى تمر بنا هذه الأيام وتهز مشاعرنا هزاً عنيفاً ؛ حيث نواجه فيها عدوان الأعداء المتربصين ونذكر عدوان أعدائنا الذين تربصوا لنا بالأمس عام ١٩٥٦ فيلح تيار الذكريات لتربط بين ما يحدث اليوم وما يحدث بالأمس - كان الموقف فى بداية عام ١٩٥٢ - أن الاستعمار يسيطر على كافة أرجاء المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط تقريباً وفى مصر فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ قامت ثورة شعب قادها أحرار أبنائها فى الجيش فانتفضت الأرض لنورها، وهو يهدر على زروعها وأكواخها بنفير البعث والحياة ثورة لها أهداف سياسية ولها أهداف اجتماعية ، ثورة سياسية فى ميدان التحرر والاستقلال والقضاء على الاستعمار وأعوانه وإقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وثورة اجتماعية فى ميدان العدل الاجتماعى الذى يقضى فيه على الإقطاع

والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، وإقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية. ثورة تستهدف أيضاً إعداد العدة للدفاع عن الحرية بإقامة جيش وطنى يمكنه أن يتحمل تبعات التحرر فى مصر وفى غير مصر من الأجزاء السليبية من أرض العرب . ولقد أخذت الثورة تشق طريقها لتحقيق أهدافها هدفاً بعد هدف فلم يعد الاستقلال هتافات بالمطالبة به؛ ولكنها معركة للقضاء على الاستعمار وأعوانه ولم يعد يكفى أن يقضى على لصوص الخارج، ولكن لا بد أن يقضى أيضاً على لصوص الداخل؛ فكان القضاء على الإقطاع بقانون الإصلاح الزراعى، وتوزيع الأرض على أبناء الشعب والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وأسلوب جديد فى العمل بقوانين الضريبة التصاعدية وقوانين العمل التى تحمى مصالح العمال الاشتراكية؛ ثم كانت زيادة الإنتاج وزيادة الخدمات بوضع الخطط للبناء والإنشاء والتصميم على إرساء قواعد المستقبل على أسس علمية واقتصادية واجتماعية سليمة .

وفى عام ١٩٥٤ حاولت قوى الاستعمار والرجعية والانتهازية جميعاً أن تقف هذا التيار الجارف، وأن نسكت هذا النغم الصاعد الذى تطرب له نفوس عشاق الحرية والعدل الاجتماعى؛ ولكن محاولتهم ذهبت مع الريح وعرف الشعب طريقه، وزحف على هذا الطريق زحفه المقدس فكانت اتفاقية الجلاء فى الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٥٤ بإرادة الشعب وبجهاده وبدمه وبوحدة صفه وإخلاصه وتصميم قيادته .

ثم كانت انطلاقة باندونج فى عام ١٩٥٥ بقراراتها ومبادئها ومسالكها الجديدة فى عالم متحيز متناحر تهدف إلى التعايش السلمى وعدم الانحياز وحق تقرير المصير؛ فخرجت قضايا العرب من محيطها المباشر مع قوى الاستعمار إلى محيط عالمى أخذ يتفهم وجهة نظر العرب ويقارب بين وجهات النظر عند الشعوب التى تسمى بكل طاقاتها إلى التحرر؛ ثم كان استخدام إسرائيل ركيزة

للاستعمار ورأس جسره في الأرض العربية يضرب بها كل جبهة وفي كل ميدان
ويمنع عنا السلاح لنشعر بذل الحاجة إليه ؛ فكنا له بالمرصاد فكسرت مصر
المتحررة احتكار الغرب للسلاح ونسلحت لتقوى على صد العدوان ، ولتقوى
على الحفاظ على الحرية والمعاونة في التحرر .

وكان الشعار الذي انبثق عن هذا العمل (السلاح في الأيدي العربية
سلاح عربي) .

وفي عام ١٩٥٥ كانت المناورات الكبرى التي أخذت قوى الاستعمار
تمجم بها عود هذه القوة العربية النائرة المتحررة ؛ فقام الاستعمار بالاتفاق مع
الأعوان والعملاء بتكوين حلف بغداد وشدت إليه دول من المنطقة ، وبذلت
المحاولات لشد دول أخرى وارتفعت نظريات وفلسفات لسد الفراغ كمشروع
(إيزنهاور) .

ولكننا قابلنا هذا كله بالهتاف العربي الأصيل (نحن العرب أولى الناس
لسد الفراغ المزعوم) فنحن العرب الأحرار أولى بأن نجابه الأخطار من أن
ننخدع بحجج الاستماعة بأعدائنا التقليديين والوقوع في براثنهم ؛ لنحمي أنفسنا
من خطر متوهم وكان أن حارب الشعب العربي حلف بغداد .

ولم ينته عام ١٩٥٥ حتى كانت مصر قد وقعت اتفاقاً للدفاع المشترك مع سوريا
عين على أثره (المشير عبد الحكيم عامر) قائداً عاماً للقوات المشتركة .

ومن ثم بدأ ظهور مصر وسوريا معاً في الميدان - ويسير تيار الذكريات
متدفقاً إلى اليوم السادس عشر من يناير ١٩٥٦ حيث يخرج إلى النور دستور
الشعب معبراً عن آماله وأهدافه وفي السادس من مارس ١٩٥٧ يتم الاجتماع بين
قادة القاهرة ودمشق .

وفي اليوم الثالث عشر يصدر البيان الذي يمثل وجهة النظر المصرية السورية

بنبذ الأحلاف العسكرية والاستمساك بحقوق الشعب العربى فى فلسطين ثم يزور
(الملك حسين) مصر ليشترك فى المباحثات العربية، وتصل فى الشهر التالى البعثة
العسكرية الأردنية لتوقيع ميثاق الدفاع المشترك .

وهنا تتجمع القوى المتحررة فى المنطقة لتواجه مؤامرات الاستعمار التى
تهدف إلى الاستمرار فى السيطرة وحماية الأعوان والعملاء .

وفى يونيو عام ١٩٥٦ تظهر أرض الوطن من آخر جنـدى من جنود
الاحتلال .

وفى اليوم الثامن عشر يرتفع العلم المصرى وحده لأول مرة منذ عام ١٨٨٢
يرفرف على أرض الوطن الحر ويظلل أبناء الشعب الحر .

وفى نفس هذا الشهر الحافل بالذكريات يقر الشعب دستوره النابع من
ضميره ؛ ويقول كلمته العليا فى مبايعة الرئيس المجدى (جمال عبد الناصر) رئيساً
للجمهورية فى استفتاء حر منبعث من وجدان متحرر . ثم يمضى الشعب بكل
طاقاته فى طريق البناء ليعوض تخلفه بفعل المستعمر البغيض .

وكان أول ما اتخذته ركيزة للتنمية وتحقيق العدالة والحرية والحياة الكريمة
هو بناء السد العالى .

وحاولت الحكومة أن تستعين بالخارج فى إنقاذ هذا المشروع الجيوى
ولكن الاستعمار أراد الثمن الفالى لهذه المعونة؛ أراد أن يدخلنا فى الأحلاف وأن
تتخلى عن مساندة كفاح الجزائر الباسل .

وحين أيننا - بلسان قائد قافلة الحرية فى طريق الزحف المقدس - أن ندور
فى هذا القلق؛ كانت حرب التجويع وحرب الحصار الاقتصادى وحرب الإفقار
الموصول حتى تبقى الحاجة الدائمة . وكان الرد الذى اتخذته مصر الحرة هو تأميم
قناة السويس فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ لتسترد حقها السليب
فى قناتها، وتستعيد حريتها فى سبيل التنمية والكفاية والعدل .

وكان التأميم فصلاً جديداً في تاريخنا وتاريخ الأمة العربية ؛ إذ كان أول عمل إيجابى ليس بعده إلا التقدم لوصول الوطن العربى من طنجة إلى الإسكندرية . وهنا نترامى الذكريات فى صورة تجربة ليست ببعيدة . إنها فى عام ١٩٠٤ حين تم الاتفاق بين فرنسا وإنجلترا لتطلق كل منهما يد الأخرى فى ناحية من نواحي الوطن العربى .

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى ؛ إلا وجميع أجزاء الوطن العربى قد صارت أشلاء تروح تحت نير دول الاستعمار وبخاصة دولتنا الاتفاق الودى الذى أشرنا إليه .

وهنا يظل الاتفاق الودى الثانى ؛ ولكن على نطاق أوسع إذ ظهر ركن جديد من أركان الاستعمار وتحالفت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل للقضاء على القومية العربية التى تستهدف القضاء على نفوذ الاستعمار وأعوانه .

ثم تهباً الفرصة لدول الاتفاق الجديد أن تمزق المنطقة وتقسّمها وتبتلعها كما اقتسمتها وابتلعتها عام ١٩٠٤ وعام ١٩١٨ دول الاتفاق القديم . وكان السر الحقيقى للعدوان الثلاثى على مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٦ . وهذا هو الهدف وما زال هو الهدف اليوم وغداً .

وكان العدوان الاستعمارى الانفصالى الرجعى امتداداً للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

وقد فشل العدوان الأول لأن العدو أثار حرباً مباشرة استغل فيها جنوده وأسلحته فتكثرت فى مواجهتها كل قوى الشعب العربى .

ثم أراد نفس العدو أن يشن عدواناً من نوع آخر يأخذ صورة التسرب والهجوم من الداخل .

لقد وثبت هذه الذكريات سراعاً إلى الذهن، ونحن نريد الحديث عن ذكرى البطل الذي عاش معركة العدوان . وكان معلماً من معالم أمتنا يضاف إلى القيم العليا التي تقوم بها مصر قبل أن تقوم بكنوزها؛ لما خلعه على الأمة من صفات أعلت مستواها فوق ما تغليه القيم المادية . وقد سجل قصته في كتاب الخلود في تاريخ أمته العريقة الأبية . إنها صفحة كتبت بالدماء وهي من أجل ذلك صفحة حبيبة إلى نفوس الأحرار في كل بلد وفي كل أرض تعشق الحرية .

إن هذه الصفحة ومثيلاتها من تلك الصفحات الناصعة التي سجلتها معركة الحرية في (سيناء وبور سعيد) بدماء شهدائها هي أئمن ما في الحياة ، لا بل إنها أئمن من الحياة نفسها لأن الحياة استرخصت من أجلها . ولا يكفي هذا الكتاب لتسجيل روائع البطولة التي تجلت في معركة (بور سعيد والقنال) ، والإحاطة بالتفاصيل الجيدة لهذه المعركة التي كانت في الحقيقة نقطة تحول وانطلاق لقوميتنا العربية التي تردد صداها وتجاوبت دعوتها بين أرجاء العالم العربي وفي رحاب الدنيا .

(بور سعيد) ستظل رمزاً لمعنى الفداء القومي، فقد افتدت بجهادها وكفاحها وتضحياتها سلامة مصر وتأمين استقلالها ، وتدعيم عزتها وكرامتها .

وقد أعلنت هذه المعركة للعالم أن الأمم إذا صدق عزمها نطق القدر بلسانها ومشت قدما إلى غايتها تروع أمم الأرض بضراوتها وعرام قوتها ، وتسجل في صفحات التاريخ مرة أخرى أن من يقاوم الحرية يقاوم وهج الشمس وتعالى النهار .

وقد برز في هذه المعركة رجال دخلوا التاريخ من أرحب أبوابه، لن تعرف مصر والعروبة نفسها إلا إذا عرفت نفوسهم فبصرت بمعالمها ووقفت على قرارة عظمتها؛ ومن حق الأجيال المقبلة أن تسمع مع من سمع وتبصر مع من أبصر ليتواتر الخبر وتؤول الشعلة المقدسة من يد إلى يد . فلا تنطفئ أبداً وإنه لمن الوفاء أن

يذكر الشعب شهداءه كلما قدر له أن يحنى بعض ثمرات جهاده، لأن هؤلاء الشهداء كانوا أصحاب الفرس الأول :

ما مات من بطل إلا انبرى بطل للعيش محتقر في الموت مرتقب
ماتوا فمشنا، وأحيوا بعدم وطننا فكل ما نحن فيه بعض ما وهبوا
ولم تمت روحهم بل دب ثأرهم فيمن أتى بعدم كالنار تلهب
وكما سقط في خضم هذه المعركة العديد من الشهداء؛ أظهر الثوار خلاها من
روائع البطولات ما جعل منها ملحمة وطنية كانت مجالا لظهور عدد من الأبطال
الشعبيين الذين لم يكن لهم من قبل اسم يذكر؛ ولكنها الشدائد منبت الرجال
ومصنع الأبطال وقد كان هذا هتاف الثوار :

يا دروب النضال ما اختضب الـ سرب بأزكى مما رشفت دماء
كل خطو لنا عليك شهيد نضر الأرض جرحه والسماء
لوح الليل أنه سوف يبقى ففرشنا درب الضحاشهداء
وإن معركة (بور سعيد) وغيرها من معارك القومية العربية في الوطن الكبير
بعيد إلى أسماعنا معارك (بدر وحنين والأحزاب وخطين واليرموك وعين جالوت
والقادسية) تلك المعارك التي أعز الله بها الإسلام، وأحرز العرب بها النصر
وملكوا بها نواصي الفخر وأخضعوا الجبابرة والطغاة تحت سلطان القهر؛ وإن
التاريخ لحافل بوصف هذه المعارك يشيد ببطولة الشهداء الذين لقوا مصارعهم
وصفحاته عامرة بالحديث عن أعمالهم الجليلة، وقد صنفت في تاريخ حياة رجال
هذه الوقائع المصنفات الضخمة التي نقرأها فتمتلئ نفوسنا إيماناً و يقيناً بنصر
الله للمؤمنين، وتنبعث في النفس أقباس من النور وثورة على الضلال وأركان
الظلم .

وما أكثر ما كتب الأدباء وقال الشعراء اعتزازاً بهم وتخليداً لحياتهم
(م ٨ — شهداء الإسلام)

ومآثرهم ولا تزال تطيف بخاطرنا الصور الباهرة التي رسمها (شاتوبريان) في كتابه عن (الشهداء) فنرى مظالم البشرية كيف انسكبت على أبرياء مغبونين، وأبطال مجاهدين تقرأ في تاريخهم نشيد الشهيد الذي مثله ببطولاتهم وذكروا في الحديث عن (الشهيد عصمت) .

والآن وقد جرى بنا تيار الذكريات فكاد أن يبلغ غايته وأفعم نفوسنا بالأشجان والفخار ؛ لا نرى ندحة من تناول الشطر الثاني لمقدمتنا (ذكرى البطل) فتحدث عن (البطولة) كإرهابية للحديث عن أمثلة الفداء العربي في معركة الحرية « الشهيد البطل جلال الدين دسوقي » .

البطولة :

ونعني بها مفهوم العصر كما أسلفنا في سيرة (أحمد عصمت) فهي بطولة أصيلة شريفة متسامية توفق بين الشجاعة والرأى وتجعل الاثنين يخدمان المثل العليا والقيم الإنسانية الخالدة .

سوف لا أقتل أطفالا	كما هم قتلوا
سوف لا أعدم نسوانا	كما هم حلوا
سوف لا يفدر في	أرضي السليم الأعزل
أنا جندي شريف	وشجاع بطول
سألاقي الجيش لا	العزل ؛ لا لا أفعل

وهو نأثر لأنه لا يطبق الضيم ولا يصبر على الذل والهوان، ويتحمس بقدر ما يعم العدو في القمع ولكنه يعلم أن الثورة وسيلة لا غاية، لأنه ليس بالفوضوى الذي يلتذ بالهدم والقتل من حيث هما ثورة إلى العالم الأفضل الذي ينشده . فبطولته نزاعة إلى الحياة الإنشائية توافقه إلى (المستحيل ترغمه على الإمكان) زاخرة بالحب والإخاء، ببطولة تصور الحياة الزاهية الجميلة توهب في سبيل الحياة الحية .

لا تلقى أخى فما لام جندى أخاه إلا وأعقب عذرا
 إن حظى من بهجة أن أحيا أياً أو أن أموت أبراً
 كل جيل ودوره . ولقد كان لجميل معامد الحرب دوراً
 هكذا أملت المقادير أن ثوروا فثرنا لنقهر البغي قهراً
 لا تلقى وسائل العقل عني كيف أبدو لو أننى كنت حراً

وهكذا انبثق أبطالنا من أعماق الشعب فوجدوا من الجماهير سنداً ودعامة
 فساروا إلى الأمام وسار الشعب معهم متطوعاً إلى مستقبل جديد وحياة حرة
 سعيدة؛ وبكل هذه المقاييس سنعرض قصة بطاننا الشهيد (جلال الدين دسوقي) الذى
 اقترن اسمه العالى بهذه الحقبة من تاريخ نضال شعبنا حتى أصبح كل مناضيد به :

يا صورة الوطن الكريم ورمز معقله المصون
 (أجالل) نجيت الديار من الزحوف الفاصبين
 ونهضت للخصم الألد تكيد للمستعمرين
 مصر تسير على لوائك فى كفاح الفاشمين
 تمشى بسيرتك المضيئة فى دجنات الدجـون
 فى ذمة الأحقاب ما خـللت فى وجه القرون

وإن الشباب العربى فى مصر وفى كل قطر عربى محتاج إلى أن يقبس من نور
 هذه التنفيذية فى سبيل نيل الحرية، وتحطيم القيود التى ضربها الاستعمار حول الأحرار
 وإنه من حق كل عربى أن يلم بأحداث الجهاد، ويعرف الكثير عن الشهداء الذين
 اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون
 ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن . كما أو من بأن من حق كل
 مجاهد استشهاد فى معارك القتال فى أى بلد عربى وسقط فى ميدان النضال مدافعاً
 عن حريته المسلوبة وحقوقه المنهوبة؛ من حقه أن يسجل اسمه ويدون تاريخه وتمجد
 أعماله لتظل ماثلة أمام أعين الأجيال القادمة .

جلال الدين الدسوقي

مولده ونشأته :

من أسرة مصرية صميمة وفي بيت كريم بضاحية الزيتون ولد للسيد (دسوقي الششتاوى) الذى كان مثالا رفيعاً للخلاق القويم والوطنية الصادقة ابن سماه (جلال الدين) فى يوم الرابع عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٨ .

وبهذا الولد كان جلال من أبناء مصر الحديثة التى رأت النور فى آفاق عام ١٩١٩ ورضعت لبان النهضة التى تعهد بها (مصطفى كامل ومحمد فريد) فى فاتحة القرن ؛ كانت تلك الفترة من التاريخ كلما تقدمت استفحلت البغضاء للمستعمرين الباغين على أمتنا الفاصبين لحربتنا ، وكان الناشئة يعيشون على تاريخ رسمى مكذوب وتاريخ صحيح غير مكتوب ؛ أما الأول فقد دسه إلينا الاستعمار ليحطم مقوماتنا فجعل مصر هبة الولاة من عهد (محمد على) وسقط فى أيدي الأحزاب والحكومات فلم تستطع أن تقهر العصر أو تصحح التاريخ .

وأما التاريخ الثانى عن مجد مصر وقوتها فقد علمتنا ثورة ١٩١٩ أن يظهر عليه أبناء مصر بقلوبهم إذا لم تطلع عليه أعينهم ، ويتقدم الزمن وتحاصم الملكية الرجعية الدستور منذ صدر وتصطنع الأحزاب وتدنى الشيع والأتباع ، وتقصى الأحرار عن المراكز الأولى وتسيطر على القوى الحزبية وتضرب الحركة الشعبية .

فكان النشاط الحزبى دورانا فى حلقة مفرغة والتقدم الشعبى سرا باً وفسدت أداة الحكم نتيجة للفساد السياسى ، واستفحل الإقطاع وجاع الملايين لحساب فئات تدور فى هذا الفلك ، وكان الزعماء قد أضحوا مشدودين إلى مركز النقل فى الامبراطورية البريطانية مبهورى الأنفاس من قمعة السلاح ومظاهرات

الفواصات في قناة السويس ، ومن المؤتمرات التي تعقد تحت نذر الحرب الحبشية أو الحرب العالمية الثانية .

ومد لهم غصن الزيتون تحت عنوان إلغاء الامتيازات الأجنبية التي جعلت منذ تصريح الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٢٢ مفتاحاً تفتح به مغاليق الشر على مصر فوقعوا معاهدة ١٩٣٦ .

وفي عام ١٩٣٩ كنا في حالة حرب لم نكن من جناتها علم الله ولكننا صلينا بنارها ، وضيق الانجليز علينا الخناق توسعة لأنفسهم إذ خاضوا المعركة على أرضنا وغزيت مصر من أجاهم مراراً ؛ فكانت كل غزاة لها كجراحات الراح للضمير المصري ، وكانت تحتل كل مكان من أرض الوطن بفيالق انجليزية وانطلقوا يجمعون مصريون ويقطعون أقواتها فانتكست ميزانيتها وأظلمت القاهرة وسرت رعدة في البلاد ، وكان نعيم الصفارات يملأ الآفاق ليل نهار نذيراً بالهلكة والدمار واستفحل الغلاء .

ومدوا للعملاء من غير المصريين أسباب الثراء ؛ وكان حادث الرابع من فبراير ١٩٤٢ حيث استبدل الضباط البريطانيون وزارة اضطرتهم إليها محتتمهم بوزارة لم يعودوا بحاجة إليها ؛ وهاج ضمير الشعب وبدأ النضال بينه وبين القصر والحكومات المتعاقبة المتهاففة .

ويأتى دور حرب فلسطين وكانت السياسة الانجليزية في مصر ؛ فاستطاع اليهود اغتصاب شطر من فلسطين رغم بسالة المصريين وما أثبتوه من فدائية في المعارك والجود بالروح في نبالة واعتزاز ؛ واستبدت شياطين الفساد بأداة الحكم بعد حرب فلسطين على يد القصر .

وابتدعت الأساليب لتمطيل الدستور ثم تعرض قضية مصر في مجلس

الأمن لتكون مشكلة عالمية ، وتكون صيحات الشعب في التماس الإصلاح كهمزيم الرعد أو أشد .

وعاد النظام الحكومى لمداواة الملك الذى تمادى فبطر ولم يفتن للخطر؛ ثم جرت المحادثات بين الجانبين المصرى والانجليزى والأمة يأسه من هذه المفاوضات، وألغيت المعاهدة وسبق الشعب حكومته وبرلمانه إلى القتال حيث الدم المراق من سبعين عاماً، ثم تتلاحق حلقات التاريخ وبشتد الكفاح وتنشط (كتائب الفدائيين) ولا يتورع الانجليز عن ارتكاب أقسى الأساليب العدوانية فى مقاومة حركة الكفاح .

ثم تكون الحوادث الدموية فى (الاسماعيلية والسويس والتل الكبير) ضد جماعة الفدائيين من شباب الجامعات المصرية ، وضد مصر التى تطالب بحريتها ثم تظاهر (بلوكات الفظام) اترحف إلى القتال وتشاطر فى الدفاع والاستشهاد ، ثم حريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية وإعفاء الوزارة .

وتولى الحكم وزارة لم تحم ظهور (الفدائيين) وتتلاحق الوزارات مثنى وثلاث ورباع وخماس ست وزارات فى ستة شهور .

وفى ظلمات اليأس دقت نواقيس الزمن وطلع الفجر الجديد، وقامت ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ - فى هذه الفترة من حياتنا ولد البطل (جلال الدين دسوقي) وعاشها وكأنما كان القدر يرهص بما قام به بعد من بطولات ، فأى ضغط كانت ترزح تحته أعصاب لدائه فى هذا الزمان .

ولقد دخل (جلال) المدرسة الابتدائية بالزيتون ومنذ اليوم الأول فى دراسته أخذت تظهر خطوط شخصيته ، فقد اشتهر بالصدق والصراحة والشجاعة والذكاء النفاذ والتفوق العلمى والسلوكى الذى جعله لم يتعد المرتبة السادسة فى امتحاناته كلها ، هذا إلى رجولة مبكرة تأنف من سفاسف الأمور، وكرامة تتجلى فى أروع

صورها ، وقلب طيب مفعم بالوطنية الواعية التي تنشد المعرفة فيكون التاريخ موضوعه المفضل وقصص البطولة شغله وقت فراغه .

وفي هذه الفترة وسن التلميذ لا تتجاوز التاسعة .

وفي عام ١٩٣٦ في ظل معاهدة الشرف المزعوم يشور على المستعمر وطغيانه ويندد به في كل مجال ، ثم يحبب إليه شقيقه الأكبر (محافظ القاهرة السابق) صلاح الدين الذي كان رائداً للجلال وقدوة له ؛ يحبب إليه الألعاب الرياضية حتى يعشقها، ويشارك معه في مباريات كثيرة فتراوده البطولة الرياضية التي وثق أنها ستجعل منه شخصية متكاملة تستطيع أن تنهض بأعبائها الوطنية .

وقد عرف فيه زملاؤه هذه الخلال السوامي ؛ فأكبروه ووضعوه في المقدمة وأحبه أساتذته وقدروه ، وقد لازمته هذه الصفات المثالية في حياته بعد ذلك بل نمت في دراسته الثانوية ؛ حيث ألحق بمدرسة مصر الجديدة الثانوية عام ١٩٤٠ وعمره يدخل به إلى المرحلة المتوسطة في شبابه .

ويبدأ (جلال) هذه المرحلة بالتنافس العلمي المفيد تحيط به روح رياضية عالية تستمد نبعها من أخلاقه الرفيعة ، وصلابته في رأيه وعزيمته القوية وطموحه الغلاب .

وفي هذه المرحلة برز بجانب تفوقه العلمي تفوقه الاجتماعي حيث اشتهر بوعى اجتماعي ، وإحساس مرهف جماله يحس آلام رفقاؤه فيشاركهم متاعبهم ويقف إلى جانبهم ؛ وكذلك اتضح تفوقه الرياضي حيث كان رئيساً للفريق الرياضي بالمدرسة ، وكان يمارس عدة هوايات رياضية ويشارك في جميع فرقها مع اهتمام كبير بلعبة السلاح ، فاشتهر بين زملائه كبطل سيكون له مستقبل رياضي عريق .

وكانت تقديراته العلمية في سني هذه الدراسة ممتازة كفاء ذكائه وعكوفه

على تحصيل العلم ومواظبته وحسن سلوكه، وشغفه بقراءة كتب التاريخ والكتب الرياضية التي ساعدته في (شعبة الرياضة) التي دخلها في السنة الخامسة .

وعندما حصل على (شهادة التوجيهية) قسم الرياضة كان طريقه الطبيعي يتجه به إلى كلية الهندسة، كما كانت رغبة شقيقه الأكبر (صلاح) الذي كان جلال يتخذ منه (صديقاً كبيراً) إلا أن سفر صلاح إلى الخارج للاشتراك في بطولة العالم للسلاح ترك الفرصة لاختيار (جلال) كلية البوليس استجابة لرغبة شقيقه الثالث الذي يقيم في الريف في بلدة (شبرامالكان) مركز الحلة الكبرى وقضى (جلال) عاماً بالسكينة كان ترتيبه الأول بين زملائه .

ولكنه مالبث أن جلس إلى شقيقه الأكبر (صلاح) ليسر إليه بأن كلية البوليس لا تسير استعدادده، وكان صلاح يتعامل مع شقيقه على أساس حرية الإقناع . وفي هذه الآونة أعلن السلاح البحري عن أول دفعة للسكينة البحرية، وجاء الشقيق الرابع وهو ضابط في سلاح الطيران يقترح على الأخ الأكبر (صلاح) أن يتقدم (جلال) إلى السكينة البحرية؛ فرحب جلال بالفكرة في شغف بالغ فهي السكينة التي تحمل شعاره الذي آمن به طوال حياته وعمل في سبيله ذلك الشعار هو (العلم والعزيمة والعمل) .

وتقدم (جلال) إلى السكينة البحرية في دفعة أكتوبر عام ١٩٤٦ وألحق بها في الخامس عشر من أكتوبر؛ فكان الابن الأول للسكينة البحرية والطالب الذي يحمل الرقم العسكري (١) وقد منح مجانية التفوق آنئذ، لأن ترتيبه الأول ورقى إلى رتبة (وكيل ريس) في مايو ١٩٤٧ ورقى إلى (ريس) في الثامن عشر من فبراير ١٩٤٨ وأخذت تقاريره الدراسية في سنى السكينة البحرية تشيد بكفايته العسكرية وتفوقه العلمي والخلقي واهتمامه بدروسه حتى رقى إلى رتبة (ريس ممتاز) في العشرين من مايو ١٩٤٨ لطابة الدفعة الأولى بالسكينة . والحق أنه كان مثالياً شديداً في الحق يميل إلى

الجد ويعترف عن العبث ولا يشترك فيه ؛ لم ينحرف البتة عن مبادئه ومبادئه يملك من مقومات القيادة الجدية والإخلاص المتناهي والصراحة والطموح والاستقامة؛ ما جعله أهلاً بأن يقود بمفرده الكلية البحرية حين اشترك صف الضباط بمناورات خارجية .

وهنا ظهرت مواهبه الفريزية في القيادة مما ساعده على الهوض بعمله وتحمل مسئوليته نحو الكلية بأمانة وإخلاص ، ومما دعا الكلية إلى الاستمرار في تعيينه رغم أن ترتيبه في الفترات كان بين الرابع والسادس - وهكذا أضحي موضع تقدير قادته ومدرسيه ومحبة زملائه ، وكانت ثقتهم فيه لا حد لها وكان مثالا ممتازاً لجميع طلبة الكلية .

وتخرج (جلال الدين) في السادس عشر من ديسمبر ١٩٤٨ ضابطاً في السلاح البحري وألحق بمدرسة الإشارة البحرية بالاسكندرية ليظل بها حتى الثاني من أبريل ١٩٤٩ ثم نقل إلى منطقة حصن الإسكندرية وظل فيها حتى السابع عشر من يوليو ١٩٤٩ عندما نقل إلى الفرقة على البحر الأحمر ليعمل في سفن التكوين حتى السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٤٩ - ثم يندب للعمل في مصلحة الموانئ وللنائر حتى الخامس من أبريل ١٩٥٠ عندما يرقى إلى رتبة الملازم الأول ويرسل في بعثة إلى إنجلترا للدراسة العلوم والفنون البحرية حتى أغسطس ١٩٥١ ليعود ضابطاً على إحدى السفن الحربية فيقضى بها تلك الفترة حتى السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٢ (وهو يوم طرد فاروق من أرض الوطن) ويرقى جلال الدين إلى (رتبة اليوزباشي) ويعين أركان حرب مدرسة الطوربيد ، ويظل بها حتى السابع من أكتوبر ١٩٥٢ فيرقى (قائداً لمدرسة الطوربيد) ثم يعود (جلال) إلى إنجلترا ليحصل على فرقة إزالة ألغام بحرية من الخامس عشر من نوفمبر ١٩٥٢ إلى الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩٥٢ ويحصل على المرتبة الأولى ثم يعود إلى عمله فلم يكتف بهذا ؛ بل حصل بعد ذلك على فرقة الملاحة البحرية في أغسطس ١٩٥٣ بامتياز ثم يلحق بفرقة الشؤون الإدارية حتى الرابع عشر من يناير ١٩٥٤

وفي يناير ١٩٥٥ ينقل إلى مكتب رئيس أركان حرب القوات البحرية ويعهد إليه بمهمات رسمية خاصة بالسلاح البحري فيسافر إلى يوغوسلافيا في إبريل ١٩٥٥ ثم إلى إنجلترا؛ ويسافر مرة أخرى إلى يوغوسلافيا في سبتمبر ١٩٥٥ ويكافأ (جلال) في أكتوبر ١٩٥٥ بترقيته إلى (رتبة الصاغ) وفي يناير سنة ١٩٥٦ يعين (قائداً لمجموعات لنشات الطوربيد) فيسكب في نفوس زملائه ومعاونيه من علمه وروحه ما يجعلهم أسطورة في البطولة والتضحية والإيمان والعزيمة، وفي الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦ يرقى جلال إلى رتبة (البكباشي بصفة خاصة) لما امتاز به من كفاية وتضحية وأعمال مجيدة للقوات البحرية ولم تمض أيام قليلة حتى تبلغ التضحية أوجها في الرابع من نوفمبر ١٩٥٦ عندما يضحي (جلال) بنفسه في سبيل قومه؛ يبني لهم من جهاده بناء شامخاً إلى العلاء وصرحاً سامياً إلى الاستقلال والنور.

ولقد كانت التقارير التي كتبت عن الشهيد البطل في عمله حين كان ضابطاً أو رحلاته الدراسية أثناء عمله (أوسمة نحر) تزين صدره وقد كانت خير استمرار (لجلال دسوقي) الطالب حيث مضى في طريقه بقوة وطموح، فدرس وتخصص وعمل وأنتج، وكان ثورة في كل مكان ثورة على الكسل وثورة على الجهل، ثورة على الجود، وقد نجح في أكثر من ميدان وكان أعظم نجاح له حيناً ثار على أساطيل المعتدين الآمنين فانتصر عليهم؛ ثم مات ميتة الأبطال.

وكانت صفاته التي أجمعت عليها كل هذه التقارير تتمثل في أنه كان شخصية قوية ذا مظهر لائق ينفذ الأوامر بدقة، كما كان حازماً في إصدار أوامره بكفاية ملحوظة، وكان قادراً على القيادة بكفاءة تامة ومتعاوناً تعاوناً وثيقاً مع رؤسائه ومرءوسيه لصالح العمل؛ وسمعته مشرفة وأخلاقه سامية ونشاطه محمود يبلغ الغاية، كما كان دقيقاً وأميناً جداً في عمله يعمل بدون رقابة وبحماسة لصالح

سلاحه والتفانى فى الاعتزاز به ، وهو ضابط منتج يمكن الاعتماد عليه فى القيادة والإدارة له مقومات تقفز به إلى مثالية نادرة يحدوها ضمير حى يقظ، ووعى ثقافى وطنى ويرجى له مستقبل زاهر .

جوائز تفوفه

ذكرنا أنه منح (مجانية التفوق) فى الدفعة الأولى للكلية البحرية ، ثم قررت الكلية منحه (كتاب المعارف البحرية) كجائزة للتفوق العلمى ، كما حصل على (السيف البحرى) دليلاً على تفوقه وامتيازه وقد ، سجل اسمه على لوحة أوائل الخريجين فى الكلية البحرية (أحسن طالب فى القيادة) كما كان اسمه فى طليعة أصحاب البطولة فى (سجل البطولة والمجد والشرف) بالكلية ولقد حصل جلال لتفوقه الرياضى على (ميداليتين) إحداها لدورة البحر المتوسط فى الاسكندرية عام ١٩٥١ ، والثانية لبطولة السلاح لمدينة الاسكندرية أيضاً عام ١٩٥٢ ، وقد كوفى جلال حين جنب البلاد ضرر اللغم البحرى فى خليج أبى قير (بنوط الجدارة الذهبى) ، وكان أرفع وسام ناله البطل جلال دسوقى غير أوسمة الفخار فى تقارير المسئولين عنه—هو استشهاده فى سبيل عقيدته المقدسة ووطنه الحبيب ، وهو يهتف من أعماقه :

إن فى مصر أمة لاتطبق الضيم تأبى لها العلى أن تطيقا
أنذرونا بالموت ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا

سماته وأخلاقه

لقد كانت تنبعث ينباع الرجولة من سكناته وحركاته وقسمات وجهه ، وكان سمهرى القوام عظيم الهامة فيه سمات القواد ليس مفرطاً فلم يتجاوز طوله (١٨٣ سم) ضامر الجسم فى غير نحول يبلغ وزنه (٧٣ كج) أوفى إلى البياض منه إلى السمرة ، نافذ النظرات فى عينيه شعاع عامر بالعزم والتصميم ، يميل وجهه إلى أن يستطيل من جهة متبدية للناظر ، يعلو رأسه شعر رجل فاحم السواد وفم دقيق

ابتسامته خصبه مؤمنة تضيء ، عيناه من ضياء روحه فتغمر وجوه أصدقائه ونفوسهم ولكنّه في عمله صارم حاسم ، وكان يتبدى في سمات الأناقة وحسن الهندام مع أبرز آيات الرجولة (من رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه) يحس الرأى أنه من كبار الرياضيين فإذا مشى بدا مرفوع الرأس والصدر على الهامة نفاذ البصيرة ، وهى مظاهر ثقته بنفسه ، وكان لا يجرى وراء الثناء يبدى رأيه في أسلوب يسير مقل مقنع يجمع بين الصراحة والمودة وكان يملك لسانه وسمعه وبصره ، كل ذلك في مزاج من الترفع والتواضع يملكه التعصب لكل ماهو مصرى تنطوى أضالعه على مقت المستعمر .

ولقد كان الله معه دائماً لأنه كان دائماً مع الله يذكره حين تتحكم النزعات أو يضرى الصبا - فكان طهره الذى لم يعرف الخمر ولم يقترب المنكر لا يدخن إلا نادراً ولا يشرب القهوة والشاي إلا بعض الأحيان ، ولا يرتاد السيما إلا قليلاً لم يفره شبابه أو مستقبله أن ينحرف البتة فعاش في صحة وعافية ، ولم يصب بأى مرض طوال حياته - ولعل فيما أسلفناه من صفاته وأخلاقه نثاراً في مراحل دراسته وعمله ما يكمل صورته ويوضح مسلكه الرفيع وتمسكه بالأخلاق العالية والمثل العليا حتى تحدث عنه السيد مدير الكلية البحرية فقال : (إن الكلية البحرية تفخر دائماً بابنها الأول وبطلها الشهيد جلال دسوقي واتخذت منه رمزاً لأبنائها يحتذونه ويهتدون بنوره) .

ثقافته وآثره في عمله :

لقد كان شعار البطل جلال هو شعار كلية البحرية (العلم والعزيمة والعمل) ولقد آمن به وعمل على تحقيقه ، فأخذ على نفسه منذ نشأته أن يتزود بأزواد متنوعة من المعرفة . فكانت مختلف الثقافات هى مصادر غذائه العظمى ، وكان اهتمامه بحجرة مكتبه يفوق كل وصف لأنه يهوى القراءة والاطلاع ويحرص على اقتناء المؤلفات سواء منها ما كان حديث الصدور والتأليف أو قديمة .

كما وجد في مكتبته ما يشير إلى اهتمامه بقصاصات الصحف التي يرى جدواها له ؛ فوجدت قصاصات منذ إعلان تأميم شركة قناة السويس عن مؤامرات الاستعمار وتحركات جيوشه واستعداد المواطنين وكتائب الحرس الوطني وكتائب الفدائيين والمقاومة الشعبية والقومية العربية . ووصف الاستحكامات الشعبية الضخمة في (السويس والاسماعيلية وبور سعيد) ، وبمكتبته عدة كتب عن التاريخ الإسلامي والمصري والمؤلفات التي كتبت عن الثورات التحريرية في العالم ، ومؤلفات عديدة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الشرق الأوسط والوطن العربي .

وكذلك العدد الضخم من الكتب التي تبحث في العلوم والفنون البحرية حتى القصص التي تدور أحداثها حول بطولات بحرية .

وكذلك وجدت بين أوراقه بحوث وتعليقات على بعض قوانين الألعاب الرياضية ، وتعليقات أدبية رائعة وشرح لبعض القصائد التي تتغنى بالبطولات الوطنية .

ولقد أدرك مدى أهمية العلم في التسليح الحديث ؛ فسعى وكافح لإعلاء كلمة العلم . وأعد عدة بحوث عن فروع من العلوم البحرية وبخاصة ما يتعلق بالألغام والطوربيدات ومذكرات متناثرة كتبها عن قراءته : منها ملخصات لكتب البحرية وعلوم البحار ، ومنها تعليقات على الحركات الوطنية ، ومنها ما يدور حول دراسات في الكواكب والنجوم لما لعلم الفلك من اتصال وثيق بعلوم البحرية وهو أول من نادى في عزيمة بضرورة رفع المستوى العلمي للضباط البحريين وأول من سعى لإنشاء لجنة البحوث العلمية والفنية للبحرية .

وحين عين (قائداً لمدرسة الطوربيد) نقل إلى مكتبة المدرسة أحدث المؤلفات في علومها ؛ قام هو بنفسه بترجمة كل ما وصل إلى يده منها ، وأعد محاضراته كرائد

لعلوم تدرس لأول مرة فأعدها بطريقة فذة ، وقد عثر في أوراقه وكتبه على كراسات عدة تذخر بأبحاثه وترجماته ودراساته .

وهكذا كان أستاذاً للبحرية ، وصاحب مبادئ وشعارات حققها بعزمه ومصابرته ومثابرته .

آراؤه الاشتراكية :

وكما كانت له آراء في البحرية جعلته صاحب مبادئ فيها وفي التربية الرياضية جعلته في قمة أبطالها . كانت له آراء في المجتمع ضمنها بحثه الذي تحدث فيه عن نظريات تقدم المجتمع جعلته من السابقين في الدعوة للاشتراكية قال فيه : (إن هناك خمس نظريات لتقدم المجتمع منها النظرية النفسية التي تقول إن أساس تقدم المجتمع هو ظهور أفراد موهوبين كالأنبياء والرسل والزعماء والقادة والمخترعين الذين يثأثر بهم أفراد المجتمع ويترسمون خطاهم ؛ ومنها النظرية الطبيعية والجنسية والاقتصادية والاجتماعية) ثم يعود فيحدثنا عن العوامل التي تؤثر في رقي المجتمع فإذا به يتحدث عن النظام الاشتراكي كما دعا إليه الفلاسفة من عهد أفلاطون . وكما حضت عليه الأديان السماوية ودعت إليه .

فيقول السيد المسيح عليه السلام في سخرية ومرارة (من عنده يعطى ويزاد ومن ليس معه يؤخذ منه) . ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الناس سواسية كأسنان المشط) ويعلم أن الاشتراكية هي المساواة والتضامن والمشاركة العاطفية والفكرية والمادية بين الإنسان وأخيه الإنسان ؛ فيدعو إلى الاشتراكية التي تؤمن بالله وبالإنسان والتي يصبح فيها المجتمع يتفوق فيه الفرد بعقله وعمله لا بجاهه وميراثه يتفوق بملكاته لا بأملاته فيقول :

(ويقاس تقدم المجتمع بمقدار ما يتمتع به أفراد من الخير والرفاهية ومدى تماسك أفرادهم وتعاونهم وتآلف وحدته ؛ ويمكن تلخيص ذلك الرقي في المبادئ الآتية :

أولاً — تكافؤ الفرص وتساوى كافة الطبقات في الحقوق والواجبات .
يجب أن تتمتع جميع طبقات الشعب بالفرص ولا تتمتع بها طائفة بذاتها فيجب
لكل فرد التمتع بالتعليم والتوظيف .

ثانياً — استغلال الثروة في خدمة المجتمع فلا تستغل الثروة فئة خاصة بل
يستفيد منها أكبر عدد ممكن ، ويشير ذلك بتأميم المرافق العامة وإحلال
الشركات المساهمة التي توزع أرباحها على حملة الأسهم محل الشركات الخاصة .
ثالثاً — خدمة الأفراد صحياً واجتماعياً وتكوين الجمعيات والمستشفيات
والمنشآت الاجتماعية المختلفة .

رابعاً — تعاون أفراد المجتمع . . فرق المجتمع يقاس بمدى المشاركة
الوجدانية بين أفراده ، وتعاونهم في سبيل الصالح العام لذلك التعاون الذي يمثل
أرقى درجات المسؤولية) .

كلماته .

لقد قلنا إن البطل الشهيد كان مشغولاً بالتعليقات الأدبية الرائعة ، ويشرح
بعض القصائد التي تتغنى بالبطولات والوطنية ؛ وها هو ذا يستمع إلى الشعار
الثوري الذي هتف به السيد الرئيس المفدى (جمال عبد الناصر) في خطابه الخطير
في الجامع الأزهر يوم الثانى من نوفمبر ١٩٥٦ (ليكن شعارنا أننا سنقاتل ولن
نستسلم . سنقاتل . سنقاتل) فيهتز وجدان البطل وتثور روحه مزججة مغيظة
لشريرة البطش والقرصنة التي باتت تهدد الوطن والأبناء والأحفاد فيقول في شعر
منثور هو دفقة الفؤاد ونبضة الثأر :

سأقاتل . سأقاتل مرة يا وطنى — مرة أما عرفت أن تاريخى تاريخ عرابى —
إن حقى وقناتى — والذى قدمت من ذوب حياتى — مرة لما تنفست وثرى — نثر
الطفيان فى أرضى سعاره — وإذا أجنحتته السوداء فى جو بلادى — هى روحى

الذكية - وأمانى هدية - وتراءت ككأنى - أسطراً سوداء فى صفحة حبر - وتسهمت وراء الظلم لصديق صوته أعرفه فهو أصداء (لموزارت) و (أركل) - ترك القيثار كى يحمى صفاره - ودباره - وبلاداً مجزية - علمته التضحية - وتحسست سبلى للقم - كان قد أغرق فى بحر الظلم - قلى لم تعد تبكى حينئذ - لا ولن تنثر فى الليل الشجوننا - والأيننا - ولن تمزج بالسهد اللحونا - ولن تسكت فى جوف الظلام - فكلانا يمشى النور - فهيا لنقاتل - سأقاتل وأنا أعلم أنى سأقاتل لأكون جديراً بأرض التضحية - سأترك من ورائى أغنية - سيعيش وطنى - سيعيش وطنى للأبد .

وكان للشهيد قدرة عجيبة على مواصلة العمل ؛ قد تستمر ثمانى عشرة ساعة فى اليوم فإذا طلب إليه زملاؤه أن يروح قليلاً عن نفسه أجابهم البطل (إن بلادنا تحتاج منا أن نعمل . . أن نعمل كثيراً . . لقد اعطينا كل شىء . . لقد أصبحنا أصحابها وإذا عمانا لها - فإننا نعمل من أجل مستقبلنا ، ومستقبل أولادنا وأحفادنا) .

وكان إيمان البطل (جلال) مطلقاً بوطنه وبميزته وكرامته ومجده ؛ وقد كانت كلمته دائماً (إننى فداء لبلادى الحرة المستقلة ولن أعيش على حساب حريتها واستقلالها وعزتها وكرامتها . . أنا لا أمسك حياة فى بذلها مصلحة لبلادى . . . أى مصلحة) .

وطنية وبطولته

إننا حين نعرض لحياة البطل الشهيد (جلال) نرى أنه مانسى الوطن ساعة وإنما أعطاه كل ساعة من دقائق عمره ؛ والوطنية عنده معنى بعيد يضم التاريخ وصفحاته وأبطاله ، ويضم العصر وكفاحه ضد كل مستعمر أئيم ، فكان شهيدنا حقاً سيفاً من سيوف الجهاد، وطالما سمعه زملاؤه يردد :

لو مثلوا لى موطنى وثنا لهمت أعبد ذلك الوثنا

وهو مع وطنه منذ نعومة أظفاره يحبه ويقدسه ويحيى مواكبه ، ويستحث جيشه ويتمنى أن يغدو فى أجناده ليعيد مفاخر الآباء وأمجادهم ؛ وكيف لا يكون كذلك وقد كان أول ما طرق مسامعه تلك القصص التى تصور مرارة الواقع الذى كانت تعيشه بلاده ، وتكتوى بناره فتعمق فى وجدانه وعياً وطنياً هو سلاحه فى كفاحه . . . كان يعمده والده الكريم لهذه البطولة فكان يروى له كالأقن شقيقه الأكبر (صلاح الدين) هذه القصص الوطنية المثيرة ثم رعى صلاح هذا النبت فى شقيقه جلال وصبغ حياته ، بلونها النائر ضد الاستعمار والطفيان وقد ظهرت وطنيته مع بوادر حياته حين كان يتقم على الإنجليز فى عام معاهدة الشرف ، وعرفت بطولته يوم عشق الرياضة لأنها ستخلق منه مواطناً سليم البدن والعقل والروح فتتكمّل عنده مقومات البطولة ، ولسنا وطنيته يوم أن رأيناه يقف فى طليعة المتفوقين علمياً وخلقياً ورياضياً واجتماعياً طوال سنى دراسته فكان من أصحاب الرسائل والمثل العليا ؛ وعرفنا وطنيته يوم أن كان أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الثانوية يسميه (مصطفى كامل) لشدة إعجابه به وبعلامات الوطنية المبكرة التى كانت تحملها أحاديثه وكتاباتة ، ورأينا وطنيته الصادقة يوم أن توجه فى اندفاع غريب إلى الكلية البحرية ، لتحقيق شعارها الذى آمن به وعمل له وهو (العلم والعزيمة والعمل) ويوم نال مانال من جوائز تفوقه وسجل اسمه فى لوحات القادة الأبطال ، وتبدت وطنيته حين درس وتخصّص وعمل وأنتج وتفتحت عيناه على جذور الحقائق حتى صار طاقة مندفعة دائماً إلى مثل عليا واضحة المعالم ، وسمعناه وطنياً غيوراً يوم جلس وهو ضابط صغير يقص على شقيقه الأكبر (صلاح) قبل الثورة مفاصد السلاح البحرى التى تعرف مواطنها وضائق بها نفسه ولا يرى سبيلا لتطهير السلاح منها ؛ فيمهل الشقيق الأكبر حتى يصبح فى رتبة رئيسية تسمح له بتولى الإصلاح وعقدئذ يحقق أهدافه .

وعرفنا وطنيته يوم كان يملكه التعصب لكل ما هو مصرى تنطوى أضالعه على مقت الإنجليز وكأنما هو وحده الجنى عليه لا بنو الوطن جميعاً . ولحنا وطنيته حين كان ينظر مخلصاً إلى الأمور نظرة شاب وطنى طامح إلى المثل العليا، ويشكو إلى زملائه بالكلية ما يرى من أمور البلاد وأنها تسير بمشيئة الغرب وهواه لا بمشيئة الشعب وأمانيه، وأنه لا يرى فى هذه الدولة ظلالاً لما كان يحلم به من عزة وكرامة واستقلال ونخوة؛ ولحنا وطنيته يوم كان يتفانى فى عمله بالسلاح البحرى ويمجد البحرية ويعرف خطرها الكبير فى معركة الحرية والشرف فواصل الليل بالنهار للنهوض بها حتى فخر رؤساؤه بوطنيته وبطولته ، وعرفنا بطولته يوم أن زودت القوات البحرية بغواصات جديدة فاستهواه السلاح الجديد وأراد أن يكون قائداً لواحدة منها حتى يكون ملماً بكل الأسلحة البحرية استعداداً للمعركة ؛ لولا أن نصحه شقيقه الأكبر (صلاح) بالتؤدة حتى تدرب طويلاً على كل أنواع الأسلحة، وقد تجلت بطولته فى فلسطين وجلال الملازم الثانى الحديث التخرج يعلو ظهر مركب من سلاحنا البحرى فى مياه البحر المتوسط مع زملائه الخريجين فى عملية تدريبية ؛ وترى الطائرات المغيرة مركبه وتتجه إليها فتبدأ أول معركة حقيقية بينه وبين الصهيونية فيقف (جلال) وجهاً لوجه أمام إسرائيل التى يمتنها ويتمنى إبادةها فينتصر ويعود وكل آماله أن يرى لبلاده أسطولا ضخماً قوياً ، وشباباً فى البحرية مؤمناً واعياً ثم تتلاحق بطولانه .

وفى ديسمبر ١٩٥٢ يصل إلى السلاح البحرى أن لغماً بحرياً فى خليج أبى قبر قد انفجر ويسبب خسارة ضخمة، وتقدم البطل فى اندفاع وإيمان وينجح فى تجنب البلاد ويلاط هذا اللغم وهكذا يقوم بهذه البطولة حيال لغم آخر فى منطقة السويس - وتشرق شمس الحرية مع ثورتنا الكبرى فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ فيجد البطل (جلال) فيها تحقيقاً لأمانيه وخلاصاً من الفساد الذى كان يشكوه فتعلق بها جلال لأنها أمنيته التى كان يحلم بها، وأحس أنه سيؤدى رسالته الوطنية

في ظل المثل العليا التي قامت الثورة من أجلها، وهدأت ثورته مع انتصار ثورتنا المقدسة وكرس جهده وحياته وسلاحه الذي أحبه وأحس أنه يعمل من أجل مستقبل أبنائه وأحفاده - من أجل مستقبل كل أفراد الشعب والوطن العربي الكبير . ويعلن القائد العام للقوات المسلحة المشير (عبد الحكيم عامر) في خطابه الذي ألقاه في الثاني والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٥ (تعلنون جميعاً أن المسؤوليات الملقاة على عاتقنا كضباط في القوات المسلحة بهذه الثورة مسؤوليات جسيمة) ثم يوضح واجبات الضابط الأساسي ويختتمها بقوله :

(وإني أعلم أنكم قادرون على أن تبدلوا هذا المجهود وهذا العناء وهذه التضحية) فيمى (جلال) كل كلمة ويتفاعل معها ويعمل بوحياها ، ويسير تحت لوائها في طريق النصر وراء قائده . ثم يوافقنا يوم العرض العسكري بميدان الجمهورية فيعلن المشير عبد الحكيم عامر للشعب (كما أعيد تنظيم الأسطول البحري بما يكفل قيامه بالتبعات الملقاة على عاتقه للدفاع عن مياهنا الإقليمية وحراسة قواعدنا الأممية) ثم تتوالى الأحداث والانتصارات التي عرضتها كرياتنا في المقدمة ، إلى أن يكون خطاب رئيسنا الناصر وقائدنا للمهم في السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ في عيد الثورة الخامس ليعلن على العالم قراره الخالد (تأميم قناة السويس) وخطابه الحاسم في الثاني عشر من أغسطس عام ١٩٥٦ الذي أعلن في خاتمه (وسننتصر على القوة الفاشية سننتصر على قوة الاستغلال وقوة السيطرة وقوة التحكم ؛ وسنتجه إلى الأمام بإيماننا وحقنا في الحياة وإيماننا بأنفسنا وإيماننا بوجودنا وإيماننا ببلادنا وإيماننا بأرضنا وإيماننا بأن قناة السويس جزء لا يتجزأ من أرضنا) ويكون لهذا الخطاب أثره العميق في نفوس الشباب العربي حيث عرفوا واجبه ، ودورهم الخطير في مستقبل بلادهم واستقلالها وكرامتها :

ما زلت أصفى يا (جمال) وأمتى عصب وروح
ومواكب التاريخ تهدر والرمال السمير سوح

سلمت يمينك يا (جمال) ومات في الزحف الفحيح
 وبهشم الباب الوقاح وبنار الوطن الذبيح
 قهقه لقاتلين في الميدان دمدت الجروح
 وأعر جناحك للكسيح يدب للشار الكسيح
 كفرت بأمـتى الفتوح غدا تقيه بنا الفتوح

وهناك في الإسكندرية استمع (جلال) مع زملائه ضباط السلاح البحرى
 إلى كلمة رائدنا الظافر (جمال عبد الناصر) فبدأت هذه تتفاعل في أعماقه وتزيده
 عزماً وقوة ومضاء ؛ فيعض على نواجذه قائلاً (إلى متى سيظل الاستعمار) ثم
 تتتابع الأحداث حتى نستمع إلى الخطاب الخطير الذى ألقاه السيد الرئيس فى
 الجامع الأزهر فى الثانى من نوفمبر ١٩٥٦ والذى أحال الشعب إلى طاقات ضخمة
 فانطلق بكل طاقاته وطوائفه . بقسواته البحرية فى البحار ، ونسوره فى السماء
 وجيشه فى كل ميدان ، وكانوا فى المعركة أقوى فى الصراع وأشد فى البطولة ؛ لأنهم
 نار الحق والكرامة تحرق كل نار وتسكت كل باطل . انطلق الشعب يأخذ
 مكانه فى المعركة حيث رأى حماه يباح ودوره محتاج ، وبين الردى الجبار والعواصف
 الهوج أخذ ينادى كل فرد من أفرادہ بأن يورى شعله القتال وأن يقيم من ساح
 المعركة سوقاً للطمان ، وأن يطر المستعمر بصواعق تهدم البنى وتحطم العبودية
 وتدوى فى أرجاء (بور سعيد الخالدة) :

وإذا الظلام عتا تبلج فجره ظلم الحوادث مطلع الأنوار
 ما انهار قصر فى حماك عمرد إلا ليرفع فيك قصر فخار
 ما دمروك هم ولكن دمروا ما كان فيك لهم من استثمار
 حملوا عليك موائبين وما لهم ثار وثرث وأنت ربة ثار
 ما ينقمون عليك إلا أنهم شهدوك غير مقودة لنصار

استشهاد البطل

وبدأ أبطال السلاح البحري عملهم ، ليحيلوا كلمات (جمال عبد الناصر) قائدهم الأعلى إلى أعمال عظيمة إلى المجد نفسه والشرف نفسه . وقد جاءت الدول الاستعمارية بأساطيلها إلى البحر المتوسط تجاه الأراضي المصرية ، وخرجت قطع الأسطول البحري المصري إلى المياه الإقليمية المصرية ، خرجت لا تحمل قذائف بقدر ما تحمل أبطالا أشاوس ، ولم يكن في حساب العدو أننا جميعا قد وهبنا أرواحنا قربانا لشرف بلادنا وحريتها ومجدها .

وجاء يوم السبت الثالث من نوفمبر ١٩٥٦ وفي مساء هذا اليوم وغارات المستعمر الوحشية قوة دافعة لكل مصري في كل ميدان - كانت هناك مجموعة من زوارق الطوربيد مكونة من ثلاثة زوارق تستعد للخروج إلى البحر عندما شاهد ضباطها قائدهم البطل (جلال دسوقي) يتجه إليهم ؛ وفجأة قفز جلال إلى ظهر الزورق ليشاركهم في العملية التي سيخرجون من أجلها الآن ، وأخذوا يستعدون فجلال هو الذي سيقود المجموعة ؛ ومرت ساعات الليل والأبطال يجوبون مياهنا الإقليمية بزوارقهم ؛ وعندما بدأت تزحف أضواء يوم الأحد الرابع من نوفمبر ١٩٥٦ كانت زوارق الأبطال في المياه المواجهة (لمنطقة البرلس) وكان من الضروري أن تعود إلى الشاطئ ؛ فإن هذه الزوارق لا تعمل إلا في ظلام الليل حتى لا تكون هدفا للقوات الجوية المعادية ، وعندما كان (جلال) يتعمق بزورقه في مياه البحر المتوسط سجلت أجهزة زورقه إشارات تدل على أن قطعا بحرية تقترب وأن هناك خطرا يهدد وطنه ؛ وبدأ النور ينداح على الأفق وبدأت تظهر قطع من الأسطول الإنجليزي والفرنسي ؛ فأضحى جلال أشبه بالبركان النائر ويود لو قضى على الاستعمار كله لا أساطيله فحسب ، ورأى جلال مركبا إنجليزية كبيرة فجاء جولته الأولى ، وأصيب المركب الإنجليزية وبدأت تميل إلى القاع عندما تقدم لها طراد فرنسي اسمه (جورج ليج) وفي كلمات سريعة حاسمة قال (جلال) لزملائه

(تقدم وبأقصى سرعة) وانطلق هدير الزوارق حيث قاد (جلال) تلاميذه الأبطال الفدائيين ولمح الطراد الفرنسى هذا الهجوم وفتح كل نيرانه .

ولكن الزوارق مضت كالسهم الملتهب نحو هدفها الكبير ، واخترقت هذه النيران لا تحشى القنابل التى تنفجر حولها والرصاص الذى يئز فوقها .

ولجأة اختفى الهدف الكبير ؛ فلقد أطلق (جورج ليج) حوله دخاناً كثيفاً فى الوقت الذى أصدر (جلال) أمره بإطلاق الطوربيد الأول والثانى والثالث ، ولكن الطراد لم يصمت فقد استمر يطلق نيرانه فى عنف وإصرار رغم إصاباته العديدة .

وقد انعقدت حوله سحب الدخان القاتم ، وكان لابد من اختراق هذا الدخان ؛ وانطلق (جلال دسوقى) فى قوة أمرة يقول (إلى الأمام وبأقصى سرعة) .

ضراغم الماء ثبوا وثبة	آن لهذا الفيل أن يمنعا
دعاكم المجد فكتم إلى	دعائه من صوته أسرعاً
وسرتم للهوت فى جفيل	ما ضم رعديداً ولا إمعاً
سلوا بحار الأرض عن مجدكم	إن بها سرّاً لكم مودعا
كانت ولا زالت لكم ساحة	تبنون فيها الشرف الأرفعا
قد طاف (ناصر) حول أسطولكم	مستنفراً غضبان مستفزعا
يفضيه يا خير أشباله	أن يبلغ القرن بكم مطمعا

ومع زحجرة الزوارق للمرة الثانية ، وهى تنطلق بأقصى سرعتها ؛ تبع الضباط قائدهم الذى قادهم من أول عتبة فى السلاح البحرى إلى حيث يقفون الآن إلى جواره فى ساحة المجد والشرف التى استنفرهم إليها زعيمهم المحبوب (جمال عبد الناصر) . ووسط هذه اللحظات المحمومة والأمواج تزلزل بالشر وقذال

الأفق يشيب من وهج الوغى؛ أطلق البطل (جلال) آخر طور بيده كان مع مجموعته فشطر (جورج ليج) شطرين وتركها تستنجد بالطائرات المعادية وفي الطريق خرجت اثنتا عشرة طائرة في أربعة أسراب فرنسية وإنجليزية نفاثات وقاذفات قنابل؛ وبدءوا معركة رهيبية مع أبطالنا، وانطلقت الصواريخ المجنونة من الطائرات المسعورة ودافع الأبطال عن زوارقهم إلى النهاية ولم يفارقوها حتى لحقوا بها في عباب البحر . والسماء وحدها لا تكفي لرفع رءوسنا إليها ، والبطولة وحدها لا تكفي لنطلقها عليهم وهنا في قلب مصر ، ومع كل قطرة ماء تشربونها اذكروا أبطال البحر الذين أذلوا القراصنة ، اذكروا أشياء أكثر من البطولة ومن المجد ومن التاريخ، أكثر بكثير من كل هذا واذكروا مصر :

وطن عليه من الزمان وقار النور ملء شعابه والنار
تفغو أساطير البطولة فوقه ويهزها من مهدها التذكار
فتطل من أفق الجهاد قوافل (مضر) يشد ركبها (وزار)
تستيقظ الدنيا على تزارها وتنام تحت لوائها الأقدار

والد البطل :

ولما علم والد الشهيد الخالد (جلال الدين) بما حدث تلقى الخبر بثبات المؤمن القوى الإيمان ، الراضى بقضاء الله وقدره وقال (لقد نال ابني جلال حسمى الاستشهاد فاستحق أرفع الأوسمة في الدنيا وأرقى الدرجات عند الله في الآخرة مقام الصديقين والشهداء) وهكذا كان يخفق وجدانه مع الشاعر :

لى على أزرق العباب لواء يتجدى وبقعة حمراء
لا ترحزح (جلال) قبرك فى الأعماق، للفجر فوقه لألاء
أنت يا قصفة البطولة ضاقت بمداهها أرض ونامت سماء
وارتمت فى العباب فاحتضنتها حفنة من مياها زرقاء

يا شهيد الصباح ما عرفت أحلى وأندى من وهجه الأضواء
هات أمثلة الفداء ورقرق من سناها على الدنا ما تشاء

تمجيد البطل وتخليده :

وفي عهدنا المجيد الذى بكرم البطولات الحقبة، ويرفع منارها فى جيلنا
والأجيال القابلة ؛ كرم هذا الشهيد البطل فقررت الكلية البحرية إطلاق اسمه
الخالد على إحدى قاعاتها للمحاضرات وعلى قاعة للمسرح والسينما أقيمت حديثاً
بالكلية ، هذا إلى جانب حجرة أخرى باسمه تجمع قطعاً لأنواع مختلفة من
الطورييدات التى تخصص فيها البطل الشهيد، كما قرر نادى السلاح بالإسكندرية
عمل درع باسم (جلال دسوقى) تقام عليه مباريات سنوية وظلت الصحف
والمجلات فى مصر وسوريا ولبنان طوال الأسابيع التالية فى نوفمبر ١٩٥٦ بل
وفى نوفمبر من كل عام - تروى ذكرى (معركة البرلس البحرية) وتمجد البطولة
فى قصة الشهيد جلال دسوقى وتكرم فدائته ووطنيته الواعية - ولم يخرج
كتاب عن معركة الحرية فى بور سعيد إلا وضع فى طليعة البطولات - التى
عطرت جنباتها وخلدت معاركها المقدسة - بطولة شهيدنا (جلال دسوقى) وقد
أخرج المجلس الأعلى لرعاية الشباب فى (سلسلة شباب خالد) كتاباً قيماً عن
الشهيد البطل ضمن المراجع التى استندت إليها فى إخراج هذا الكتاب ، وفى
اليوم الرابع من نوفمبر منذ عام ١٩٥٩ تحتفل القوات البحرية بذكرى معركة
البرلس؛ اليوم الخالد فى تاريخ البحرية المصرية ؛ ويبدأ الاحتفال بخروج مدرسة
كبرى من ميناء الإسكندرية فى الصباح يرافقها عدد ضخم من زوارق الطوربيد
بقيادة قائد الأسطول ، ويقصد إلى مكان (معركة البرلس) وهناك بصطف
الضباط والبحارة ويلقى القائد كلمة يحى فيها ذكرى الأبطال .

(جلال دسوقى وجول جمال وإسماعيل عبد الرحمن فهمى وعلى صالح) ويشيد.

بذكر أمجاد قائدهم شهيدنا البطل وتمجيد أخلاده ؛ ثم يتقدم السيد القائد يحمل
باقة كبيرة من الزهور ويقدمها إلى صدر الماء ، إلى المكان الذي طوى أجسادهم
الطاهرة الزكية .

ونعود بالذكرى اليوم لنستنشق منها عبير المجد والخلود ؛ بذكرى بطلنا
الشهيد وقد أسفر الصبح الذي أعاره نور عينيه حين انطفأت فيه جذوة الحياة
نذكره ونحن نهتف ، لتطل علينا روحك أيها الشهيد الحبيب من عليها لنعاهد
الله على أننا سنظل مقتفين الخطى في ظل رائد القومية العربية رئيسنا البطل
(جمال عبد الناصر) نلتقي حول نفس الهدف وتحت نفس العلم وخلف نفس الزعيم
فنحن نردد في ذكراك المجيدة :

أيها الزورق المدل على الموج	تدوى في صدره الأنواء
أذنت ساعة الفداء فضجت	أمنيات وصمت كبرياء
وتمطى على الشواطىء تاريخ	وغارت في جحرها رقطاء
أيها الواثب المدل على الأمواج	ذكراك فرحة لا رثاء
عرس للصباح أنت ضحاه	ومناه وزهره والنفاء